المقاربة التشاركية بين الخطاب الديني والأسرة ومآلاتها في ضبط السلوك الإجتماعي (رؤية إسلامية)

الباحث
أ. د. رعد حميد توفيق
الجامعة العراقية - كلية العلوم الإسلامية

الباحث
م. م. نور علي إبراهيم
كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة

الملخص

كما هو معلوم ان من لوازم الاتزان الفكري وصوابيته وتسديد النظر علميا، التوثب لمطارحة القضايا الشائكة التي تتعدد فيها الآراء وتتشعب حولها الرؤى بشيء من العمق والدقة وهو مما يفضي لامحالة الى توجيه الفكر للافضل وانزاله على الداء، لذا فان ضبط السلوك الاجتماعي في مجتمعاتنا هو في الحقيقة عودة لنظام كوني فطري تنتظم به العلاقات بين الافراد وتتحدد في ضوئه الأدوار كما ان هذا الالتزام لا يأتي من فراغ بل عبر قنوات وسياقات محددة ومؤطرة، نعتقد بان اهمها الخطاب الديني بما يحتويه من نص مؤسس وخطيب مؤطر، فضلا عن الاسرة وما تستطيعه، وامكانية تشاركهم من اجل ذلك الضبط الاجتماعي .

***

Apstract:

As it is known that one of the requirements of intellectual balance, correctness and scientifically accurate consideration is to be persistent to address thorny issues in which there are multiple opinions and visions diverge with some depth and accuracy, which inevitably leads to directing thought for the better and bringing it down on the disease, so the control of social behavior in our societies is in fact a return to an innate cosmic system in which relations between individuals are regulated and roles are determined in light of this commitment does not come out of a vacuum, but through specific and framed channels and contexts, we believe that the most important of the religious discourse, which contains from the text of the founder and the framed orator, as well as the family and what you can, and the possibility of sharing them for that social adjustment.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم.

فانه لمن الاتزان الفكري وصوابيته وتسديد النظر علميا ، التوثب لمطارحة القضايا الشائكة التي تتعدد فيها الآراء وتتشعب حولها الرؤى وتتباين حولها التوجهات وهو مما يفضي لامحالة الى توجيه الفكر الافضل وانزاله على الداء، داء الانحراف بانواعه شتى (انحراف الأُسر، انحراف المراهق، انحراف الفكر، انحراف السلوك.....)ومدى اعادة توازنة من خلال الافادة من مؤثرات مقاربة.

لذا فان ضبط السلوك الاجتماعي في الحقيقة هو عودة لنظام كوني فطري تنتظم به العلاقات بين الافراد وتتحدد في ضوئه الأدوار، وهو يشمل المخلوقات كافة بدءً من الإنسان وانتهاءً بالجمادات والنباتات والحيوانات وسائر المخلوقات، ولكون الإنسان أكرم هذه المخلوقات قال تعالى: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)** (سورة الإسراء:٧٠) ، والى جانب التكريم فقد كُلّف بحمل الأمانة قال تعالى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)** (سورة الأحزاب: ٧٢).

كما ان هذا النظام وهذا الالتزام لا يأتي من فراغ بل عبر مصادر وسياقات محددة ومؤطرة حسب الاطار المفاهيمي والبيئي الذي ينوعها، ونرى ان اهم تلك المصادر هو الخطاب الاسلامي بما يحتويه من نص مؤسس وخطيب مؤطر، فضلا عن الاسرة ومديات اشكالها، وكيفية تشاركهم من اجل تحديد الضبط الاجتماعي والالتزام بالمعايير الاخلاقية والدينية التي يفرضها عليهم الدين فضلا عن العرف السائد.

ان من أول ملامح الضبط الاجتماعي للإنسان هو نهي الله سبحانه وتعالى لأبينا آدم عليه السلام من الاقتراب من الشجرة، قال تعالى: **(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)** (سورة البقرة:٣٥) فلما كان منه عليه السلام ما كان من أكله من الشجرة التي نهى الله عنها، أُهبط الى ارض الشقاء والتعب ، قال تعالى: **(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (سورة البقرة:٣٨)، وعليه نفهم من هذه الاشارة ان الضبط الاجتماعي الذي يتشارك من اجل تحقيقه الخطاب الديني والاسرة - كما هو في بحثنا الحالي- امر لابد منه؛ لصلته الوثيقة بتنظيم حياة الأفراد داخل هذه المجتمعات، ويكون بذلك أساس رئيس في استقرار السلوك وتحصينه من الانحراف وما ينتج عن ذلك من مآلات متحولة على الأُسر المسلمة وتحصين منظومة القيم لديها.

لذى فاننا نعتقد ان الخطاب الديني المعتدل يقوم بأهم وظيفة تُبقي على البناء الاجتماعي، من خلال التأثير الفعّال الذي يدفع على تدعيم

التماسك الاجتماعي، وضبط سلوك الأفراد، من خلال القيم والمعايير.

مشكلة البحث: تتحدد مشكلة بحثنا من خلال التساؤل الرئيس:

هل هنالك تأثير للخطاب الديني على الاسرة يُخضعها لتحولات متقلبة، اما تحصين لافرادها فكريا وحسيا من أي انحراف سلوكي او فكري يزعزع ضبطهم الاجتماعي ويعمل على عدم توفير ادوات التمكين في الارض، او تفتيت لأمنهم الفكري والسلوكي يجنح بهم نحو الانحراف والجريمة والتطرف؟.

اهداف البحث: مما تهدف اليه هذه الدراسة هو الوقوف على الاهداف التي نجملها في:

١. بيان اهمية الخطاب الديني في توعية الشعوب واستقرار تفكيرها وسلوكها.

٢. بيان نجاعة المقاربة التشاركية بين الخطاب الديني وما يمثله من بعد تربوي والاسرة وما تمثله من بعد تجريبي تعزيزي.

٣. الانحراف السلوكي هو في الحقيقة مطب صناعي ينتجه الواقع الاسري غير المتماسك فضلا عن الخطاب الانحلالي العابر للحدود.

٤. لا غنى عن التوجيه الايماني والديني في تسيير حياة مجتمعاتنا وضبطها سلوكيا وفكريا.

فرضية البحث: ان للخطاب الديني - المعتدل - تاثير فعّال وايجابي في تحديد أي انجراف وانحراف سلوكي اذا تشاركت الاسرة المسلمة في انفاذه وتثبيته في عقول الافراد المنتمين لها، وهو مما يؤدي الى تجذير معايير الاخلاق الفاضلة والقيم النبيلة التي تؤطرها نظرية الضبط الاجتماعي.

منهجية البحث: هذا البحث يسير وفق منهج البحث الوصفي التحليلي باستخدام الأدبيات العلمية المتاحة، من أجل تحديد الأثر الفاعل للمقاربة التشاركية للخطاب لديني مع الاسرة المسلمة وأهميته في ضبط الفرد والاسرة وبالتالي ضبط المجتمع واستقراره وتقدمه.

اهمية البحث: تتحدد أهمية البحث بأهمية إشكالية عنوان الموضوع المطروح وهو موضوع الانحراف السلوكي وآلية ترويض انحرافاته من خلال خطاب ديني معتدل قافز فوق كل ما يفتت ويهين ويذل ويشين ، وما يشكله هذا الانحراف من ازمة عالمية تم أسقاطها على مجتمعاتنا الاسلامية وما يستتبعه من أزمات مركبة تؤدي بالضرورة الى إيجاد مجتمعات مأزومة من حيث ولاءاتها ورصانة أفكارها ومنظومة قيمها واخلاقها، وهو سبب ما نراه من ابتعاد عن منهج الله ومعرفة مراده على الوجه الذي يرضيه.

الدراسات السابقة: كتب عدد قليل من الدراسات حول علاقة الدين بضبط السلوك الاجتماعي ولكن جميع ما كتب لم يتناول تلك المقاربة التشاركية والتخادم الوظيفي الذي اشرنا اليه في بحثنا وبيان مآلات ذلك التشارك في عملية تسريع الترصين والعودة الى مجتمع يقوم على المفاهمة ونفذ التناحر والتكاره، ومن باب الامانة العلمية سأذكر اهم ما اطلعت عليه من هذه الدراسات:

١. الدين والضبط الاجتماعي، محمد بن عبدالله الزامل، باحث في مرحلة الدكتوراه ـ جامعة الملك سعود ،كلية التربية ،قسم التربية، وهو بـ٢٢ صفحة، وقد أُفدنا منه في مقدمة بحثي فقط.

٢. بحث: الضبط الاجتماعي مفاهيم وأبعاد، حسن عالي، بلا دار نشر ومكان نشر وبلا تاريخ نشر، بحث علمي بـ ١٧ صفحة، وتم تحميله من الشبكة العالمية للمعلومات، وعلى الرابط: https://sd.carts.tu.edu.iq/images/%D8%A8%D8%AD%D8%AB_%، وقد أُفدنا من هذا البحث في ايراد بعض تعريفات الضبط الاجتماعي ،علما انه لم يشر الى دور الدين في ذلك الضبط.

٣.بحث: اهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية- دراسة سوسيو-دينية، جرادي حفصة وبن لحبيب بشير، جامعة الاغواط، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، مجلد٧ عدد: ١ عام ٢٠١٦م، وهو بـ ١٠ صفحات، وليس له علاقة بالضبط الاجتماعي، مع ذكر الخطاب الديني.

٤.كتاب: الضبط الاجتماعي في الاسلام، طارق الصادق عبد السلام، الدار العالمية للنشر والتوزيع ،٢٠٠٩م، وهو بـ٢٩٨ صفحة، وايضا لم يتحدث الكاتب عن الخطاب بل نظر الى جذور الضبط الاجتماعي والغربي وما هي مظاهر الضبط الغربي والاسلامي.

وجميع ما مر ذكره من دراسات اطلعنا عليها في هذا الموضوع لا تتقارب مع موضوعنا الذي نبحثه هنا بصورة شمولية وباركان ثلاثة متبادلة الادوار هي(المقاربة التشاركية/ والخطاب الديني والاسرة / والضبط الاجتماعي).

هيكلية البحث: خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كالتالي:

المبحث الاول: تحديد مفاهيم عنوان البحث

المبحث الثاني: المقاربة التشاركية بين الخطاب الديني والاسرة.

المبحث الثالث: آلية الضبط الاجتماعي من خلال المقاربة التشاركية.

***

المبحث الاول

تحديد مفاهيم عنوان البحث

لا شك ان الخوض في مطارحات المفاهيم والمصطلحات من الصعوبة بمكان تحديده وتبني توجه معين وترجيح آخر دون ان يسيطر الباحث ويؤطر تلك المفاهيم ويعرفها تعريفا بالحد قدر الاستطاعة لكي يسيطر على مظانها ويعي كيف تصنع المعضلة وتسهم في نشأتها، ولهذا نعرف الخطاب الديني والمقاربة التشاركية بوصفها اداة التلاقي وجهاز خلط المؤثرات، فضلا عن الضبط الاجتماعي وجذوره النظرية وتمظهراته الاجتماعية.

اولا : مفهوم المقاربة التشاركية

لغة : جاء في لسان العرب في مادة شركة ما يلي: شركة، الشركة والشراكة سواء بمعنى مخالطة الشريكين مشاركته في العالم بمعنى صرت شريكه اذا اشترك هو والطريق الذي يتساوى فيه الناس [١] ، اما في كتاب المنجد في اللغة والأعلام فنرى ان مادة شرك تاتي بمعنى شركة وشركة بمعنى سار شركة وشاركه وتشارك بمعنى وقعت بينهما شركة [٢].

ويرى عبد الكريم غريب: «ان مصطلح المشاركة يعني المساهمة الفعلية للافراد في مجريات الاحداث داخل الجماعة او داخل التنظيم الاجتماعي وان مستوى المشاركة يكون مرتبط بشكل كبير في درجة الانسجام الوجداني للجماعة وبدرجة تماسك اعضائها» [٣].

اما في **الاصطلاح** فالمقاربة التشاركية اصبح مفهوم من المفاهيم ذات الرواج الكبير سيما في اوساط الباحثين والمشتغلين بقضايا التنمية والمجتمع رغم ان اغلب الباحثين لم يتفق على تعريف محدد لهذا المفهوم لكن اهم اركانه التي لا يقوم بدونها(تقاسم السلطة/ وتقاسم المعرفة/ وتقاسم المسؤولية)[٤] .

التشاركية هنا تقوم على فكرة ان الكل يساهم في بناء الدولة او المجتمع او الظاهرة، كل حسب قدرته وامكاناته المتوفرة، وعليه فان تحقيق التشاركية في المجتمع يتطلب عدة مقومات او عوامل منها: رفع درجة الوعي وحرية وسائل الاعلام، وتقوية وتفعيل دور المؤسسات والهيئات في الدولة فضلا عن الانتعاش الاقتصادي والمؤسسات الادارية والاهم من ذلك هو الرغبة في المشاركة[٥].

---

(١) أبن منظور ,ابو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري , (ت ٧١١ هـ) ،لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي وأخرون ،(ط١ , دار صادر , بيروت , بل. ت)مادة(ش ر ك.)

(٢) لويس معلوف، المنجد في اللغة والاعلام، المطبعة الكاثولوكية، بيروت ٢٠١٠م، ص ٣٨٤ .

(٣) ينظر:عبد الكريم غريب، المنهج التربوي، الجزء الثاني، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء ٢٠٠٦، ص ٧١٦ .

(٤) ينظر: ابراهيم بازو، التنمية مشاركه، في مقاربه المسالة التنموية من منظور تشاركي، افريقيا، الدار البيضاء ،المغرب ٢٠١٥ ، ص٥٥.

(٥) ينظر: مراد شحماط، لبنى الجصاص، التنمية السياسية،

لذا فان المقاربة التشاركية لا تهمل راي او وجهة ممكن ان تسهم في انجاح الهدف منها أي ان ما تسعى اليه هو استعادة جميع الاراء والنشاطات والعمل على الاخذ بها دون الانتقاص من شان اي فرد او مؤسسة او هيئة او نشاط، فالكل فيها مرحب به والكل يشارك في عملية التطوير والتنمية.

وعلية نعتقد ان المقصود بمفهوم المقاربة التشاركية اجرائيا في هذا البحث : هي سيرورة اجتماعية تواصلية تقوم على تمكين الخطاب الديني وما يمثله من خطيب متدين بالتشارك مع الاسرة وما تمثله من مؤثرين من اجل اتخاذ القرارات المتعلقة بتحديد وتنفيذ الانشطة والبرامج التنموية التي تهم كلاهما من الفرد او الافراد المنتمين لهذه الاسرة وهو ما يعني ان دور المتدخلين بالخطاب الديني والاسرة يجب ان ينحصر في التشجيع والتعبئة بمختلف الاتجاهات من اجل القيام بالادوار المفروضة واحداث التغييرات المطلوبة [1].

ثانيا: الخطاب الديني

لا بد من التنبيه على ان مصطلح الخطاب الديني من التعبيرات المعاصرة في مجال العلوم الاجتماعية، وقد شاع مؤخرا مقرونا ومرتبطا بفكرة التجديد في المفاهيم والقضايا الدينية وتحدياتها المطروحة، على جنبات الساحة السياسية والفكرية والاجتماعية وحتى التعليمية والدينية هروبا من تهم باتت تلاحق الدين سيما في الاحداث الاخيرة في عام ٢٠٠١ في امريكا، ومن اجل استخلاص رؤية جديدة تنهض بالامة الاسلامية من كبوتها وتعيد لها توازنها.

لهذا تعددت الاراء حول تعريفه، واختلفت وظائفه، وسنذكر بعضا منها قدر ملاءمتها لمجريات بحثنا.

فقيل «بانه الخطاب الالهي متمثلا في القرآن الكريم والسنة الصحيحة وهو ايضا الفعل البشري الهادف الى تبليغ ونشر تعاليم الدين، ودعوة الناس الى الالتزام باحكامه وتشريعاته، ويكون المقصود بالخطاب الديني هو حصيلة الفكر البشري من الدين المنزل وما يقوم به البشر من جهد لنشر هذا الفهم ووضعه موضع التطبيق»[2].

وفي هذا التعريف نلاحظ ان المُعرّف ربط الخطاب الديني بالجهد البشري وفهمه بتعاليم الدين من اجل دعوة الناس وهو مما يشير صراحة الى ان الخطاب الديني متعلق بالتدين اكثر من الدين وحسب ما سبق التفرقة فيه، ومما يؤكد ذلك ان هناك من شمل الخطاب الديني بـ» الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتين حيث يقدم للناس خطابه بوصفه الوصف السليم للاسلام في عقيدته

مقاربة معرفية لتفسير الحراك الشعبي في الوطن العربي، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٨، ٢٠١٣، ص٤٤.

(١) ينظر: ابراهيم بازو، مرجع سبق ذكره، ص- ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) ابراهيم البيومي غانم، تجديد الخطاب الديني في مصر، تحليل آراء عينة من الجمهور مجلة البحوث والدراسات الاستراتيجية القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية مجلد الثاني ٢٠٠٦، ص ٧٣٥.

ونظامه الاخلاقي وفي ادائه وشرائعه»[١]، في حين يرى اخرون انه «ليس مجرد الخطاب الذي نتلقاه من على منابر المساجد، في صورة خطب او موعظة او درس بل هو مجمل ما يصلنا من افكار او تصورات بكل اشكاله او بكل اشكال التعبير»[٢] .

نستشف مما سبق ان الخطاب الديني هو ايصال الدعوة بما تحمله من تعاليم وتوجهات وتبني اراء الى الجمهور بغلاف ديني وباي وسيلة كانت من خلال اناس متخصصون وحسب رؤيتهم وافكارهم وميولهم ولهذا نرى ان الخطاب الديني يتنوع تبعا للقائم به وبناء على من عرف الخطاب الديني بانه يشير الى «الاراء والافكار التغيرات او التفسيرات، والتاويلات التي يسوقها، البشر حول دينهم نتيجة اتفاقهم واختلافهم في كيفية فهم النصوص المقدسة، ومن ثم استنباطهم للاراء والاحكام وما ينتسب الى عقولهم بحكم بشريتها للاصابة والخطا»[٣].

«فمنه الخطاب الديني المغلق الخاص بتفسيرات النصوص والشعائر وهو خطاب مفتوح وله عدة مستويات، فقد يكون في اطار ابداء القيادة الدينية الراي في اسئلة تتعلق بقضايا الشخصية «[٤]، وهذا الخطاب الديني الخاص، وآخر خطاب يتعلق بقضايا الاقتصاد والسياسة والهندسة ويسمى الخطاب الديني المفتوح العام.

وهناك تصنيف ثالث من الخطاب الديني المفتوح مع الخاص العام وهو ما يتعلق بالقضايا الملحة في واقع التفاعلات وعليه كان الخطاب الديني المغلق والمفتوح «الخاص او العام والمعتدل والمتطرف والتربوي والاعلامي يشترك فيه آلية منطلقاته الفكرية «[٥].

اذ بعد ان استقر الراي وكما نعتقد على ان الخطاب الديني هو اجتهاد شخصي للمتحدث والخطيب بمسمياته كافة في احد قراءات المفهوم المعاصرة، فلابد ان تكون تلك الاجتهادات متقلبة متفاوتة ولا يمكن حدها بقيد يحول دون مطاطيتها وهلاميتها وحسب الحال الداعي للخطاب الخاضع له الخطيب من عصر الى عصر ومن بيئة الى اخرى ومن تحد الى تحد اخر[٦]، وعليه يكون

(١) أحمد كمال أبو المجد: حول الخطاب الديني المعاصر، مجلة وجهات نظر القاهرة، دار الشروق، العدد ٣٨ ، ٢٠٠٣ م ص ٤

(٢) جابر محمد عبد الموجود، اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني، مجلة البحوث الاعلامية، القاهرة جامعة الازهر، عدد:١٨، ٢٠٠٢م، ص ٧٠

(٣) جابر عصفور، تجديد الخطاب الديني، جريدة الاهرام القاهرة، عدد ٦٣٧ ، ٢٠٠٣م، ص٣

(٤) محمد عبد الله مكازي، الخطاب الديني في الفضائيات العربية، دراسة في سوسيولوجيا التبشير على الشباب الاردني، رسالة دكتوراه، اشراف: حلمي ساري، كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية، ٢٠٠٩م، ص ١٨.

(٥) ينظر المرجع نفسه ص ١٢؛ وينظر جمال نصار، رؤية معاصره في تجديد الخطاب الديني الاسلامي، بحث مقدم الى مؤتمر الفلسفة الاسلامية القاهرة ٢٠١٢ ص ٣

(٦) ينظر مكازي ص ١٢٧؛ وينظر سالي خشبة ٢٠٠٦، علوم الدنيا المتغيرة وواجب عمارتها ، موقع الاهرام؛ وينظر شحاتة صيام الضعف، الخطاب الديني في مصر، سينا

الخطاب الاسلامي او الديني رسالة من مرسل فردا او جماعة او مؤسسة او حزب او مذهب او توجه فكري الى مستقبل بفرض توجيه العقل او العاطفة نحو تصرف او اعتقاد ما كان ليتجه اليه لولا تعرضه لذلك الخطاب بمضمون يختاره المرسل ولاهداف يحددها المرسل والجهة التي يمثلها ولهذا نذهب الى ان الخطاب هو خطاب اشخاص مغلف بغطاء ديني او اسلامي لحقيقية صادقة او لأهداف شخصية لا علاقة لها بالاسلام.

اما التعريف الاجرائي للخطاب الديني هنا، فهو: « الخطاب الذي له شكلا ومضمونا يتعلق بكل شؤون الديانة ومجالاتها المختلفة بما فيها استخدام كافة الوسائل والأساليب ذات الأنماط المشوقة لغرض التأثير في المتلقي بصورة مباشرة وغير مباشرة»[١].

ثالثا: ضبط السلوك الاجتماعي

ان موضوع ضبط السلوك الاجتماعي من أهم الموضوعات المعاصرة والتي تناولها العلماء والمفكرون بالبحث والتقصي واهتم به علماء التربية والاجتماع وعلم النفس لصلته الوثيقة بتنظيم المجتمعات وحياة الأفراد[٢]، وأنه لا يوجد مجتمع مهما كان ضئيلا بشكل أو آخر من الأشكال بدون السيطرة الاجتماعية، والضبط الاجتماعي هو ذلك الجزء من المجتمع الذي يؤسس النظام ويمنع الفوضى، بين افراده وانه ينطوي على محاولة لضمان قيام شخص ما أو امتناعه عن فعل شيء ما بهدف الحفاظ على النظام, وتنظيم السلوك والتحقق من سوء التكيف الاجتماعي.

ولا يزال موضوع الضبط الاجتماعي يعاني كثيراً من الخلط والغموض، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى اختلاف العلماء أنفسهم في مسألة تحديدهم لمفهوم الضبط الاجتماعي تبعا للاطار الديني او الثقافي الذي يحتويه، وعدم اتفاقهم على تعريف واضح محدد له ، وكذلك عدم اتفاقهم على ميدان الضبط الاجتماعي وحدوده بوصفه عملية تنطوي على كثير من المضامين والمفاهيم التي تتدخل في تحديد أبعاده الدينية ووظائفه التنموية بالنظر إلى أسسه ومجالاته النظرية والعملية [٣].

وردت إشارات إلى مسألة النظام والقواعد المنظمة للسلوك والسلطة في كثير من الكتب القديمة، حيث تعرض فلاسفة اليونان القدماء لمسالة الضبط الاجتماعي ، ولكنهم استخدموا

للنشر، القاهرة، مصر، مجلد الثاني ١٩٩٤، ص ٦٣

(١) جرادي حفصة وبن لحبيب بشير، اهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية- دراسة سوسيو-دينية، جامعة الاغواط، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، مجلد٧ عدد: ١ عام ٢٠١٦م، ص١٣٠.

(٢) ينظر: حسن عالي، الضبط الاجتماعي مفاهيم وأبعاد، بلا دارنشرومكان نشروبلاتاريخ نشر، بحث علمي تم تحميله من الشبكة العالمية للمعلومات، وعلى الرابط: https://sd.carts.tu.edu.iq/images/%D8%A8%D8%AD%D8%AB_%؛ وأحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ص٢٣.

(٣) ينظر: محمود أبو زيد ، الشائعات والضبط الاجتماعي . الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠،

مصطلحات أخرى : كالقانون أو الدين أو العرف أو الأخـلاق[١]، غير أن أول مقنن لمفهوم الضبط الاجتماعي هو العلامة العربي ابن خلدون الذي أشـار في مقدمته إلى الضبط الاجتماعي بصورة أكثر وضوحاً وتحديداً في قوله : «إن الاجتماع للبشر ضـروري ولابـد لهـم في الاجتـماع من وازع حاكم يرجعون إليه ، وحكمه فيهم إما أن يستند إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه وإيمانهم بالثواب والعقاب عليه، أو إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليه ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم ، فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة ، والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط»[٢]، كما يـرى أن « الإنسـان بحاجة إلـى سلطة ضابطة لسلوكه الاجتماعي ، وأن عمران المدن بحاجة إلى تدخل ذوي الشأن والسلطان من أجل فاعلية النوازع وحماية المنشآت، ووسائل الضبط التي تحقق هذه الغاية تتمثل في : الدين ، والقانون ، والآداب العامة ، والأعراف ، والعادات ، والتقاليد»[٣] .

امـا ففـي الـجانـب الـغربـي ونـظرتـهـم للضبط الاجتماعي فقد اشار الى تعريفه (أجايي) «الضبط الاجتـماعـي بـأنه آلـية مؤسسية قائمة يضمن من خلالها أفـراد المجتمع توافق أعضائهم مع قواعد السلوك المنصوص عليها»[٤] .

والضبط الاجتماعي في مجمله كما يراه الخشاب: هو مجموعة من القواعد والمعايير الرسمية وغير الرسمية المنظمة للسلوك الإنساني، والتي تعمل على تنظيم وتوجيه سلوك الفرد من خلال مجموعة من الوسـائل التـي تـحدد أنـماط السلوك المقبول وغير المقبول[٥].

***

(١) ينظر: عبد الله الرشدان ، علم اجتماع التربية ، عمان ، دار الشروق ١٩٩٩).

(٢) ينظر: مصطفى محمد حسنين ، الضبط الاجتماعي في الإسلام ، أضواء الشريعة ، العدد الخامس ، الرياض ، كلية الشريعة ،١٣٩٤هـ، ص ٢٠١-٢٠٨

(٣) محمد شحات الخطيب ، وآخـرون ، أصـول التربية الإسلامية ، الرياض ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ١٩٩٥ ص٥٣٠.

(4) Ajayi A.I. Boko Haram and Terrorism in Nigeria: Exploratory and Explanatory notes. Global Advanced Research Journal of History, Political Science and International Relations Vol. 1 2012. (5) pp 103 - 107

(٥) ينظر:أحمد الخشاب - الضبط والتنظيم الاجتماعي - القاهرة الحديث ١٩٥٩ م.

المبحث الثاني

المقاربة التشاركية بين الخطاب الديني والاسرة

كما هو معلوم ان الخطاب الديني هو في الحقيقة خطاب ومحتوى منبثق من اصول اسلامية وتتم عملية اشهاره بهذه الواجهة الا انه في الحقيقة الامر ليس خطاب وحي او خطاب بالسنة الشريفة اي انه لا يمثلها بصورة متطابقة كاملة كونه يمثل خطاب الاسلاميين في ايراد رسالتهم ومحتوى افكارهم وما يعتقدونه افضل للواقع وللتحديات التي يرونها، كونه يتصف بالسعة والشمول ويعمل بردات الفعل وحسب مقتضى الحاجة وفهم وصياغة من يؤطر هذا الخطاب «فالاسلاميون هم افراد او جماعات يتميزون عن غيرهم بقراءة خاصة للدين الاسلامي وبما يختلف عن غيرهم من سائر المسلمين»[١].

لذا فان الخطاب الاسلامي اصوله واسسه منشأها اسلامية ويرتكز على عقائده والتغيير والتحويل يكون في اسلوب التبليغ ومحتوى ذلك الخطاب المغلف غلاف ديني لان الخطاب لا يؤدي نصوص بل يؤدي افكار ودعوات وحث على توجهات يعيدها الخطيب الى اصول اسلامية وهذه الاعادة قد تكون نقية واخرى متكلف فيها ومحشورة بالقوة اذ ان الخطاب الديني هو مضمون ديني لغايات متجددة ومتحورة وتحمل عنوان اسلامي قد تصيب وقد تخطئ وبحسب مطابقتها لاحتياج الواقع.

اضافة الى ذلك وكما هو ثابت ان الخطاب الديني شمل الاسرة والمجتمع بكل صفاتها وتكويناتها الدينية والعرفية والقومية وجميع قضاياها القديمة والمتجددة وتحدياتها المتطورة فضلا عن تحولات فهم الناس لها، «ولا عزل للخطاب الديني عن الحديث في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحوار الحضارات وحقوق الانسان ومن ثم كان لزاما ان يتناول الخطاب الديني هذه الامور والقضايا واعلان راي وتوجه الدين بشانها اي ان الخطاب الديني يكون بمثابة الضابط الاخلاقي والروحي لقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع»[٢] وهو بذلك لا يسمى خطاب سياسي او اقتصادي او اجتماعي، بل يسمى ديني.

ولان الخطاب الديني وكما عرفنا سابقا هو خطاب بشري متعلق بمستوى الفهم للنص الديني، لذا فهو يتاثر بتوجه المرجعية الفكرية والدينية والثقافية التي تصوغه حسب الحاجة، وهو مما يتمحور حول ما ذهب اليه ابن رشد في مشكلة العلاقة بين العقل والنص المقدس وهو مما يؤكد ضرورة مراجعة العلاقة بين الانسان والنص القراني الذي تتكشف

(١) الشريفة حبيلة، الخطاب الديني واشكالية المفهوم، بحث منشور في مجلة الاداب واللغات جامعة العربي التبسي، تبسة ، الجزائر ، عدد:١٠ ، ٢٠١٥ ص ١٨.

(٢) اكرام لمعي، تجديد الخطاب الديني، جريدة الاهرام، القاهرة ٨ مارس ٢٠٠٢ ، ص ٥.

حقيقته من خلال العقل النير الصادق [١].

واذا كان الخطاب الديني وحسب ما توصلنا اليه من انه نتاج بشري فهو اقرب للتدين مما هو للدين، ولذا فان التدين في ايراد خطاب معين هو نابع من دلالات لامتناهية متنوعة بين الشخص السياسي والديني والاجتماعي وعليه يكون التدين بصياغة شكل الخطاب الديني «يشمل ابعاد تجريبية وعقلانية وايدلوجية وفكرية وعقائدية واجتماعية وطقوسية واخلاقية وثقافية وتبعية»[٢].

ولهذا لا يعزى الخطاب الديني الى قيمته اللاهوتية فحسب، بل ايضا يضاف اليه الحمولات او التوظيفات الثقافة السياسية والايديولوجية التي يتم تكييفها من الفاعلين والمنتفعين من هذا الخطاب في انشطتهم المتنوعة ان كانت مجتمعية مذهبية او تعبديه[٣].

اما الجانب الاخر من جانبي المقاربة التشاركية فهو الاسرة وهي حسب الرؤية الاسلامية تعد مفهوماً مستحدثاً، من حيث إن كلمة الاسرة من الكلمات التي لم تذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بلفظها الحالي، ولم يستخدمها فقهاء المسلمين في كتاباتهم، وإن كانت موجودة في الواقع العملي بوصفها نسقاً وواقع من الأنساق المجتمعيّة ذات الأهمية والتأثير في التفاعلات المجتمعيّة، من خلال ما يرتبط بها من حقوق وواجبات بين عناصرها بعضهم مع بعض، لكون الأسرة هي الوحدة الأولى البنائية الأساسيّة للمجتمع، وعدم استخدام القرآن والسنة لكلمة الأسرة لفظاً لا يعني عدم وجودها واقعا ومضمونا، وكذلك عدم ورود الكلمة في استعمالات الفقهاء لا يعني انعدام أحكامها، كما ان المتعارف عليه الآن إطلاق لفظ الرجل ومن يعولهم من زوجه وأصوله وفروعه وهذا المعنى يعبر عنه الفقهاء قديماً بألفاظ منها: الآل، والأهل، والعيال وقد فصَّل الفقهاء أحكام الأسرة وكل ما يتعلق بها في أبواب فقهية معروفة لدى الباحثين ولا طائل من اعادة ذكرها هنا، وما يهمنا في ذلك جذر اللفظة فقد وردت لكلمة الأسرة معانٍ عدة في المعاجم اللغويّة، أهمها: الأَسْرُ: الشَّدُّ والعَصْبُ وشِدَّةُ الخَلْقِ والخُلُقِ[٤]، والأَسِيْرُ: المَحْبُوْسُ[٥]، والقيد والحبس، وإحكام الخلق والدرع الحصينة.

(١) ينظر: محمد نجيب عبد موجود، العقل فعل تنويري في الفكر العربي الاسلامي، مجلة الوحدة العربية المغرب، المجلس القومي للثقافة العربية، عدد ٨١ ،١٩٩١م، ص ٥٥.

(2) Holdcroft, Barbara, "What is Religiosity?", Catholic Education: A Journal of Inquiry and Practice, 10 (1), September 2006, p، 89-103

(3) Lenski, G، The Religious factor, (Doubleday, Garden City, NY, 1963)

(٤) محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت: مطبعة الرسالة، ط ١ ج ١، ص ٤٣٧

(٥) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ج ٨، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٤ م١، ص٣٧٢.

والدرع الحصينة وأهل الرجل وعشيرته والجماعة يربطها أمر مشترك [١]، والملاحظ في هذه المعاني أنها تشترك في معنى الشد والربط والإحكام والامتثال للمجموعة، وفي الاصطلاح جاء من معانيها: أهل المرء وعشيرته، فالأسرة هي الركن الرئيس في بناء المجتمع وهي اللبنة الأولى، في ظلالها ينشأ الأفراد وتتكون شخصيتهم، وفي الشريعة الإسلامية نجد كل المقومات الأساسية التي تهتم بالجانب الروحي والعقلي والوجداني والأخلاقي والاجتماعي، التي تحقق توازن الأسرة وتماسك بنيانها، وقد اهتم القرآن الكريم بالنظام الأسري منذ بدء الخليقة ، فأول أسرة بشرية كانت على وجه الأرض هي أسرة سيدنا آدم وحواء عليهما السلام ، وعليه فالأسرة هي أساس التجمعات البشرية على مر الأزمان؛ لأن الخطاب الإلهي الذي اشار الى وجودها واهميتها خطاب عالمي ليس مقصوراً على زمان أو مكان أو نوع بشري، تُثبت الحياة الواقعية للبشر أن هناك حالات تتهدم وتتحطم على الرغم من جميع الضمانات والتوجيهات[٢].

ولا شك في أن الأسرة بما تمثله من خلية بنائية للتركيب الاجتماعي، وهي مجال حيوي يتلقى فيه الفرد دروس الحياة الاجتماعية، ويتاثر فيها ولما كانت الأسرة وحدة مصغرة عن المجتمع، فإنها ليست بمعزل عن التغير المستمر الذي يشهده بفعل عوامل متعددة تسهم في تحقيق التغيير وتوجيهه كالخطاب الديني الذي يتحدّد بنمط التغير في المجتمع وفقاً للحجم والسرعة؛ ففي مرحلة ما يسير التغيّر بسرعة فائقة، في حين تكون سرعته بطيئة في مراحل أخرى فلا يشعر بها الأفراد، وقد يكون حجم التغيّر محدوداً، وفي مراحل أخرى كبيراً ومتغلغلاً في البنية الاجتماعية، ومرد ذلك كما نعتقد اضافة الى عوامل بيئية اجتماعية، هو مدى التشارك بين الرسالة الدينية وخطابها التاثيري والاسرة التي تعمل في كثير من الاحيان كعمل قادة الراي وحرّاس البوابة، في المفهوم الاسلامي لكل ما يدخل الى عقل الفرد المنتمي لتلك الاسرة او يخرج، وقد اجتهدت أغلب المجتمعات المسلمة للسيّر خطوات سريعة في طريق التحديث لذلك التشارك والمقاربة منذ ما يزيد على نصف قرن، ومع أن كثيراً من الظواهر الإيجابية رافقت تلك المقاربة التشاركية كما نراها، إلا أن هناك ظواهر أخرى سلبية، سيما ما يتصل بمحيط الأسرة بمؤثرات اخرى كالاعلام وتحدي التثاقف المتسارع، والثورة التكنلوجيا، فضلاعن ذلك الشره للرقمنة وصناعة واقع افتراضي ينزوي فيه الفرد

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة، . ١٩٨٩ م، ج ١، ص ١٧

(٢) ينظر: رائد جميل عكاشة ، منذر جميل زيتون الاسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا ، امريكيا، دار الفتح للدراسات والنشر، الاردن ،٢٠١٥م،ص٢٧؛ سلوى علي سليم: الإسلام الضبط الاجتماعي -المقدمة بقلم د.عبد الباسط محمد حسن - دار التوفيق . النموذجية، ١٩٨٥ م، ص٢٣٠؛ نقلا عن كتاب: طارق الصادق عبد السلام، الضبط الاجتماعي في الاسلام، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ٢٠٤.

عن اسرته الحقيقية[١]؛ إذ أصبحت أغلب الأُسر نواتيةً ومنقطعةَ الصلة عن العائلة، ومستقلةً بنفسها اقتصادياً واجتماعياً وفكريا، ومعتمدة على الوسائل والتقنيات الحديثة لمواجهة مشكلاتها بمعزل عن رؤية وخطاب اسلامي موجه وواعي، فضلاً عن استعانتها في خدماتها بالمؤسسات الرسمية والخاصة بدلاً من الاستعانة بأعضاء الأسرة او القائم بالتربية الروحية والدينية، وأدى الانشغال الوظيفي والترفيهي للاباء، والسعي خلف النجاح المادي فقط إلى التخلي عن دور الأسرة التربوي لأبنائها وضبط سلوكهم من أي انحراف قيمي او ديني او فكري، لصالح مؤسسات ووسائل مستوردة غير مأمونة المصدر ومضمونة التوجيه، ثم إن وسائل الإعلام المختلفة الدينية والعامة أسهمت بقدر كبير في توجيه بنية الأسرة ووظيفتها، وفي صياغة أعراف اجتماعية جديدة.

اذا علمنا ان قطاعاً اجتماعياً له وزنه ارتبطت مصالحه بالمألوف السائد(بحسب العرف المتحول حسب حاجة الواقع)، ولهذا؛ فإن جهوداً كبيرة تُبذل لأجل الإبقاء على كل شيء على ما هو عليه على نحو ما جاء في قول الله سبحانه وتعالى {**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**} (سورة الزخرف :الاية ٢٣)، حتى اصبحنا نرى إن مجتمعاتنا المعاصرة مثقلة بتراكمات من الأعراف والعوائد الممزوجة بالقيم الصالحة او العادات الدخيلة التي لا تتوافق مع منهج الإسلام في تنظيم الشؤون الاجتماعية، بل إن فيها ما يصادم الأحكام الثابتة، لكن الناس استمرأوا تلك المخالفات وجعلوها مظهراً لثقافتهم ونمط حياتهم اليومية[٢]

في المقابل، نجد شرائح اجتماعية أخرى -وأغلبها من الناشئة ومن سكان المدن- انساقت مع التحولات المتسارعة، وأسهمت في صياغة أنماط متعددة لأعراف اجتماعية تختلف عن الموروث في أشكالها وفي مضامينها، وانقسم الناس في درجة تقديرها وإنزالها الموضع المناسب في سُلّم القيم، وكان لهذا تأثير كبير في الأسرة المسلمة[٣]؛ ذلك أن أعرافاً جديدة نشأت وجنحت إلى التعقيد بدلاً من التسهيل، وإلى الشكليات بدلاً من المضامين، وتراجعت درجة الالتزام بالمعايير الاسلامية بسبب تاثير الاعراف والعادات غير الدينية، وتمردت شرائح اجتماعية كثيرة عن الالتزام بتلك المعايير الاسلامية، واخذت في أحيان كثيرة أشكالاً من المعاداة للدين والمشاكسة والاستفزاز لثوابته، معتقدين انها الاصوب ضد التطرف الديني الذي صور ملامحه الخطاب الديني المغلوط او المغشوش دون ان يستوعب ذلك الخطاب الديني المستجدات وفق القيم والتطلعات لمستقبل أفضل، للمجتمع ولافراد

(١) ينظر: رعد حميد توفيق، الاقلمة الافتراضية للشعوب العربية واثرها في تشكيل الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي، مجلة الجامعة العراقية -مبدأ- ٢٠١٣م عدد ٢٧

(٢) ينظر: الاسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص٣٣.

(٣) عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دمشق: دار القلم، ١٤٢٢ ه/ ٢٠٠١ م، ص ٥١.

الاسـرة بصورة ادق، وفي هـذه المطارحة الفكرية نحاول جاهدين بيان أثر الخطاب الديني ومقاربته التشاركية في تنقية وتصويب التحولات الاجتماعية للأسرة المسلمة[١].

اما فيما يتعلق بواجب الاسرة في التوجيه والتاثير وتحقيق الفهم الـواعـي حـول الانـحـراف السلوكي لافرادها ومدى اجادتها في ذلك بعد التلاقح التوعوي مع الخطاب الديني في مقاربة تشاركية متزنة فبات الـحـديث عـن مـحـورية الأسـرة مـن بين مؤسسات التوجيه المجتمعي من المسلّمات التي لا يقف الباحثون عندها، بل تجاوزتها الأنظار إلى ديناميكية العمل الـتـي تستطيعه تلك الاسـرة- هنا نصفها بقادة راي يقيد او يعلب الافكار النافذة الى الافراد- تنظّم علاقة أفرادها بعضهم بعضا، بوصفهم جماعة إنسانية منظمة تخضع لقوانينها، وتعد العلاقات الأسـرية جـزءاً مـن الـعـلاقـات الاجتماعية، وتتنوع إلـى علاقات أسرية داخلية قائمة بين أفراد الأسـرة الواحدة، وخارجية قائمة على تفاعل أفراد الأسرة مع ذوي الأرحام والجيران والأصدقاء، تحكمه المنظومة القيمية النابعة من الوحي، وما يتوافق عليه الأفراد؛ تبعاً لاختلاف حاجات الزمان والمكان وتحدياتهما، بما لا يخالف توجيهات التشريع والوحي[٢] .

المبحث الثالث

آلية الضبط الاجتماعي من خلال المقاربة التشاركية

مـن خـلال تـوفـيـر شـكـل مـن أشـكـال الـهـوية الاجتماعية ، يخلق الخطاب الديني رابطة جماعية؛ وشعور بالانتماء قد يكون موجودا خـارج روابطهم الاسـريـة بالمجتمع الـعـام أو قـد يـكـون فـي الـواقـع ارتباطهم به يتم الحفاظ على الرقابة الاجتماعية من خلال تكرار الأفعال التي تعزز وتجذر ذلك الرابط او الضبط الاجتماعي الذي من خلاله يديم الخطاب الديني تلك الجوانب التي يعلن أنها بصفة مقدسة ، والاستنكار المستمر وتعرية أولئك الذين يعتبرونها غير ذلك، الأعضاء الذين يفشلون في الامتناع عن تلك السلوكيات التي تحظرها المجموعة لا يفقدون فقط إحساسهم بالهوية الاجتماعية المضبوطة دينيا بأكثر من طريقة ، حيث أن الدين وتشاركه مع الاسرة غالبا ما يحافظ على الحالة النفسية للافراد[٣]،

---

(١) إبراهيم رحماني، أثر العُرف والتحولات الاجتماعية في الأسرة المسلمة، بحث منشور في كتاب جماعي (الاسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة) مرجع سبق ذكره، ص٣١٥.

(٢) المؤثرات الفكرية في التربية الأسرية وسبل مواجهتها تـيـارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجاً، (سميرة عبد الله الرفاعي، بحث منشور في كـتـاب جـمـاعـي (الاسـرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة) مرجع سبق ذكره، ص٥٧٥.

(3) McCullough M. and Willoughby B. 2009. Religion, Self-Regulation, and Self-Control: Associations, Explanations, and Implications Psychological Bul-

بالإضافة إلى السيطرة الاجتماعية على أعضائها ، ولكن يقال أيضا أنهم معرضون لخطر أن يكونوا في الطرف المتلقي من الإجراءات العقابية التي يجب أن يفرضها القائمون الذين يفترض أنهم أوصياء على الخطاب الديني وهكذا في محاولة لممارسة السيطرة على الجوانب الاجتماعية بمقاربة تشاركية بين خطاب ديني غير متحيز فكريا او طائفيا مع اسرة ذات فهم ديني اصيل, نرى ترجمات والفاظ مقاربة لذلك التاثير المزدوج, ومسميات متنوعة كالعلاقات بين الخير والشر, والمقدس والمدنس, الملائكة والشياطين, الآلهة والشياطين, وفي نهاية المطاف السماء والجحيم، والحق والباطل، من خلال القيام بذلك التشارك يتم إجبار الأفراد بشكل أو بآخر ضد غرائزهم البدائية المنفلتة غير المقيدة والمحددة بحدود الشرع الاسلامي وخطابه الديني، على نحت شكل انضباطهم الاجتماعي بصورة دينية وتشربه على أنه حق صالح، دون ارتكاس مُعدي يتاثر به الفرد من الضخ الاعلامي المنفلت وغير الاخلاقي وحثه على الانطلاق واللامتناهي في القيم وعدم التمسك بها.

كما لا يفوتنا ان نشر الى مقولة غربية تتوافق في بعض مضامينها مع الرؤية الاسلامية ترى أن هناك إجماعا عاما على الدور المزدوج للدين، او التدين، يمكن أن يعزز من جهة التماسك الاجتماعي من خلال ربط الناس معا في ظل واقع جماعي مبني اجتماعيا ويطلق عليه (الأخلاق) او(القيم الدينية) ، أو من ناحية أخرى ، تعزيز التغيير وتعطيل النظام الاجتماعي الاخلاقي القائم كما لا يجب أن يكون بالضرورة لغرض الحفاظ على الوضع الراهن فقط ولكن من خلال التماسك والتضامن الاجتماعي أو العمل الجماعي[1].

اما دور وآلية الخطاب الديني والاسرة في الضبط الاجتماعي فهو إن الخطاب الإسلامي يراعي التوازن والتجانس بين المجتمع من خلال الحقوق والواجبات التي اقرها الشارع في الاسلام، كما ويراعي جميع جوانب الحياة دون إفراط أو تفريط دون غلو او تشدد وانحلال[2]، فهو منهج الاعتدال والتوسط، و يخدم الإنسانية والبشرية و يدعو إلى تميز المسلم في جميع حياته وتقديم الحلول والمقترحات المتمثلة في الأمور التالية:

اولا: تحقيق التنمية المستدامة : والتي يُقصد بها التنمية التي تفي باحتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتهم وعدم مصادرة احتياجات الآخرين والعبث بمقدرات الأمة ونبذ الأنانية وحب الذات والعيش على معاناة الآخرين هكذا، فإن مهمة

(1) Vaughham S. 2009. Understanding of Religion and the Role Played by Cultural Sociology in the Process. School of Doctoral Studies (European Union) Journal pp 269 - 280

(٢) اهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية- دراسة سوسيو-دينية، مرجع سبق ذكره، ص١٣٢.

الخطاب الإسلامي هو توجيه مبادئ التنمية المستدامة من خلال توفير متطلبات البشرية حاليا ومستقبلا، سواء أكانت مادية أو روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعية، وهذا بُعد مهم تختلف فيه التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي عن التنمية المستدامة في النظم والأفكار الأخرى، لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بشكل يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهية لهذا الكائن وتوجيه الخطاب نحو التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي لا تجعل الإنسان ندا للطبيعة ولا متسلطا عليها، بل تجعله أمينا عليها محسنا لها، رفيقا بها وبعناصرها، يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم، بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط[١]

ثانيا: تحقيق العدالة الاجتماعية: التي تحدث عنها القرآن في بحر آياته هي ان الخطاب الإسلامي يكون قاصرا إن تجاهل العدالة، لذا وجب اظهار ما قدمه القران الكريم من ملامح لهذه العدالة أرست قواعدها السنة النبوية، وأوضح أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا إلى تكوين المجتمع الفاضل الذي يسوده التكافل والتراحم والتعاطف فالعدل أساس بناء المجتمع، وكذلك تقوم عليه الدول وإن الله لينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، فما أحوج الأمة ودعاتها ورعاياها إلى إتباع هذا المنهج القويم والسديد ونشره بين المجتمعات وإظهاره للعالم[٢]

ثالثا: تحقيق التكافل الاجتماعي: إن المتأمل في جماليات الخطاب الديني الذي يرى ما ينطوي عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي، وفي هذا دليل على أن الإسلام وخطابه العام توّاق إلى الحرية واعزاز الفرد المسلم، معين عليها، مرغب في منحها، وهذا ملحظ اجتماعي عظيم[٣].

رابعا: القضاء على البطالة: إن الناظر لزيادة معدلات البطالة في العالم يدرك بلا شك عمق المشكلة التي تواجه المجتمعات التي تنشد الرفاهية في المعيشة، وتطمح إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية وتطبيق التنمية المستدامة فلا بد من توجيه الخطاب الديني إلى وضع الحلول والبدائل الإسلامية لهذه الظاهرة العالمية المتفاقمة والمنتشرة

(١) نعيمة يحياوي ، فضيلة عاقلي ، التنمية المستدامة والمسؤولية الاجتماعية من المنظور الإسلامي ، ورقة بحث ضمن الملتقى العلمي الدولي حول سلوك المؤسسة الاقتصادية في ظل رهانات التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية يومي ٢٠ و ٢١ نوفمبر ٢٠١٢ ، جامعة ورقلة ، ٢٠١٢ ، ص٣٤؛ نقلا عن: اهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية- دراسة سوسيو-دينية، مرجع سبق ذكره، ص١٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إبراهيم عبد العزيز ، إبراهيم محمد السمري تنمية المجتمع من منظور إسلامي، بحث مقدم لنيل جائزة كاتب الألوكة الثانية ، قسم الدراسات والأبحاث، مصر، ٢٠١١ ص ١٢

في أصقاع المعمورة[١].

لذا فما رايناه في هذه الآليات المقترحة للمجتمع ممكن ان تطبق على دائرة الاسرة ،وتتوائم بعد ذلك مع المنتمين لها بصورة ادق ومتابعة اكثر.

وعليه نستشف ان مقاربة التشارك بين الخطاب الديني مع الاسرة يظهر في كون الأسرة هي أول وسط يتلقى فيه الفرد (الطفل) اللغة وقواعد الدين وآداب السلوك الناجمة عنه، فهي التي تقوم بأهم وظيفة اذا ما كانت ملتزمة بالقيم الاسلامية ومحصنة في خطابها الاسلامي في تنشئة اجتماعية منضبطة ومستقرة سيما للطفل الذي يولد وهو غير قادر على أن يحقق لنفسه قدراً من الحماية الجسدية والفكرية والاستمرار فيها ويقع عبء ذلك كله على الأسرة، فيقول الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٢] وعلى هذا فمسئولية الأسرة في مفهوم هذا الحديث تنبني على تنشئة افرادها تنشئة سليمة مضبوطة بقواعد الدين مستهدية بلوازم التنشئة وهو الخطاب الديني المعتدل الصافي من الاكدار الفكرية والاغيار السياسية او الطائفية، ومن خلال هذه التنشئة تتعمق القيم المكتسبة لدى الفرد وتصبح من الأسس التي تنبني عليها شخصيته في المستقبل.

«ان الخطاب الإسلامي حوى قواعد هذه التنشئة وقيدها بغرس القيم الكلية التي تؤدي إلى تنامي الإيمان بالله تعالى، وبما جاء عن الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وحب كل امر يقربنا اليهم، من خلال التربية المنبثقة من قواعد الدين ومقاصده العامة، وجعل بمقتضى ذلك الوالدان مسئولان عن تربية أولادهما تربية إسلامية دقيقة، وتنشئتهم التنشئة الصالحة القائمة على مكارم الأخلاق، وليس أدل على عظم مسؤولية الوالدين تجاه أولادهما وتنشئتهم على طاعة الله ورسوله»[٣] وامتثال أمرهما من قوله(صلى الله عليه وسلم) « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»[٤]، فتربية الأطفال في الإسلام تقوم على رعاية التوازن النفسي للفرد وتهيئة المناخ المناسب لغرس هذه القيم الكلية علاوة على دعم الجوانب الفطرية الخيرة، مما أجملناه سابقاً بعملية التزكية النفسية الإيمانية، نراه في مستوى العلاقات الإنسانية، وإذا كانت الأسرة لبنة من لبنات المجتمع، فالزواج هو الأمر الطبيعي الذي أعده الله تعالى لتكون هذه الأسرة معتبرة شرعاً، وفي ذلك حفظ وتوجيه وضبط لأمر أكد الخطاب القرآني على أنه محبب إلى النفس البشرية، بل هو أحد شقي زينة الحياة

(١) بن لحبيب بشير ، دقموسي خضرة ، دور مؤسسات الزكاة في تحقيق الاندماج الاجتماعي ، ورقة بحث ضمن الملتقى الوطني حول الشباب و مسألة الاندماج الاجتماعي ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الأغواط ، أفريل ٢٠١٤ ، ص ٠٨

(٢) متفق عليه.

(٣) الضبط الاجتماعي في الاسلام، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٥.

(٤) رواه أحمد وأبو داوود والحاكم.

الدنيا، فحب الشهوات من النساء والبنين، من الدوافع الفطرية الأكيدة وتفاعلاتها تحكم السلوك الإنساني، وقد قال الله تعالى {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (سورة آل عمران، الآية ١٤)[1].

لذلك فان المقاربة التشاركية التي اوردنا ابرز ملامحها في بحثنا هذا شاخصة في ذلك التخادم الوظيفي بين الخطاب الديني المتمثل بالنص المقدس بحسب فهم واسلوب الخطيب وحسب تحديات الواقع مع الاسرة وما تمثله من دافع ومعزز ومثبت للافكار حتى وصفناها بانها شبيهة بقادة الراي الذين يشار الى اهميتهم في نظرية الاعلام التأثيرية على مرحليتين، ودورهم في تعزيز او تحجيم المحتوى الاعلامي، فان الاسرة تشارك الخطاب الاسلامي في زرع المحتوى الديني وتسقيه بعطفها وحنانها واساليب تعاهدها للمنتمين لها ، وهو لا محالة سيخرج نبتا يانعا وثمارا ناضجة تسير بالفرد لكي يكون مؤسس لضبط اجتماعي وسلوكي مستقر تظهر عليه الضبط الاخلاقي والقيمي.

***

الخاتمة

بعد حمد الله تعالى ومنته بان انطقنا بشكره وسخرنا لخدمة دينه وبذل ما نراه الحق الاصوب في معالجة تحديات واقعنا الفكري او الاجتماعي كما في هذا البحث المتواضع، لا بد ان نعتقد انه لا يمكن إنكار أهمية الدين وخطابه في المجتمع البشري ككل.

هذا الخطاب ما وجدناه يضع تلك الحدود والقيود على بعض التصرفات من اجل العبث!!! بل تحصل لدينا يقينا ان الخطاب الديني المستهدي بالقران الكريم والسنة المطهرة والفكر الاسلامي المعتدل غير المتحيز والمؤدلج اراد بذلك السيطرة على الانحراف في الفكر والعقل والسلوك والجسد تلك السيطرة على فوضى الهوى والنفس والعقل غير المرتكز على النقل المقدس ، حيث نتج لدينا هنا ان الضبط الاجتماعي لا يكون الا بتظافر جهد توجيهي واقناعي(الخطاب الديني) مع جهد مادي محسوس فعلي ومشاهد(الاسرة) وهو في الوقت ذاته اس الحياة السعيدة والهانئة، واستمرار وجود الحق والعدل وشريعة البشر وبه نضمن استمرار وجود المجتمع.

مع ذلك، من المهم ملاحظة أن مسارات وأدوار كل من الخطاب الديني والاسرة ومآلاته على ضبط السلوك الاجتماعي، حالة متشابكة وفي بعض الاحيان متشاكسة، وبالتالي ، فإن الانهيار في

(١) طارق الصادق عبد السلام، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٥.

أحدهما يمكن أن يؤدي إلى انهيار الآخر، فكلما كان اعتدال في الخطاب نجد اعتدال في الاسرة ومن ثم الفرد والعكس نراه كلما كانت الاسرة مستهدية وراغبة في تصحيح مسار القيم والاخلاق كانت عارفة بنوع الخطاب الذي تتبناه في التوجيه والضبط، ايضا نتج لدينا ان الخطاب والاسرة مصنع للافراد بافكار متنوعة اما الحاد وبُعد عن الله او اخلاق وقيم عالية ، وعليه نخلص الى وجوب إيجاد التوازن والمقاربة التشاركية بين الخطاب الديني - المعتدل- وبين الاسرة الراغبة في الاصلاح لضمان ايجاد فرد صالح منشود وحالة صحية مستقرة تؤدي الى تحصين لذلك الفرد وتمكين له في الارض.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

***

ثبت المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

١. ابراهيم البيومي غانم، تجديد الخطاب الديني في مصر، تحليل آراء عينة من الجمهور مجلة البحوث والدراسات الاستراتيجية القاهرة، . مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية مجلد . الثاني ٢٠٠٦.

٢. ابراهيم بازو، التنمية مشاركة، في مقاربة المسالة التنموية من منظور تشاركي، افريقيا، الدار البيضاء ،المغرب ٢٠١٥.

٣. ابراهيم رحماني، أثر العُرف والتحولات الاجتماعية في الأسرة المسلمة، بحث منشور في كتاب جماعي: رائد جميل عكاشة ، منذر جميل زيتون الاسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا ، امريكيا، دار الفتح للدراسات والنشر، الاردن، ٢٠١٥م.

٤. إبراهيم عبد العزيز ، إبراهيم محمد السمري، تنمية المجتمع من منظور إسلامي، بحث مقدم لنيل جائزة كاتب الألوكة الثانية ، قسم الدراسات والأبحاث، مصر، ٢٠١١.

٥. إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة، ١٩٨٩ م، ج ١.

٦. أبن منظور ,ابو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري , (ت ٧١١ هـ) ،لسان العرب ، تحقيق : عبد

الله علي وأخرون ،(ط١ , دار صادر , بيروت , بل. ت) مادة(ش ر ك.).

٧. أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ج ٨، بيروت: عالم الكتب، . ط ١، ١٩٩٤ م.

٨. أحمد الخشاب - الضبط والتنظيم الاجتماعي - القاهرة الحديث ١٩٥٩ م.

٩. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦.

١٠. أحمد كمال أبو المجد: حول الخطاب الديني المعاصر، مجلة وجهات نظر القاهرة، دار الشروق، العدد ٣٨ ، ٢٠٠٣ م.

١١. اكرام لمعي، تجديد الخطاب الديني، جريدة الاهرام، القاهرة ٨ مارس ٢٠٠٢ .

١٢. بن لحبيب بشير ، دقموسي خضرة ، دور مؤسسات الزكاة في تحقيق الاندماج الاجتماعي ، ورقة بحث ضمن الملتقى الوطني حول الشباب ومسألة الاندماج الاجتماعي ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط ، أفريل ٢٠١٤ .

١٣. جابر عصفور، تجديد الخطاب الديني، جريدة الاهرام القاهرة، عدد ٦٣٧ ، ٢٠٠٣م.

١٤. جابر محمد عبد الموجود، اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني، مجلة البحوث الاعلامية، القاهرة جامعة الازهر، عدد:١٨، ٢٠٠٢م.

١٥. جرادي حفصة وبن لحبيب بشير، اهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية- دراسة سوسيو-دينية، جامعة الاغواط، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، مجلد٧ عدد: ١ عام ٢٠١٦م.

١٦. جمال نصار، رؤية معاصره في تجديد الخطاب الديني الاسلامي، بحث مقدم الى مؤتمر الفلسفة الاسلامية القاهرة ٢٠١٢.

١٧. حسن عالي، الضبط الاجتماعي مفاهيم وأبعاد، بلا دار نشر ومكان نشر وبلا تاريخ نشر، بحث علمي تم تحميله من الشبكة العالمية للمعلومات، وعلى الرابط: https://sd.carts.tu.edu. iq/images/%D8%A8%D8%AD%D8%AB_%؛ .

١٨. رائد جميل عكاشة ، منذر جميل زيتون الاسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا ، امريكيا، دار الفتح للدراسات والنشر، الاردن ،٢٠١٥م.

١٩. رعد حميد توفيق، الاقلمة الافتراضية للشعوب العربية واثرها في تشكيل الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي، مجلة الجامعة العراقية -مبدأ- ٢٠١٣م عدد ٢٧.

٢٠. سالي خشبة ، علوم الدنيا المتغيرة وواجب عمارتها ، موقع الاهرام٢٠٠٦.

٢١. سلوى علي سليم، الإسلام الضبط الاجتماعي -المقدمة بقلم د.عبد الباسط محمد حسن - دار التوفيق . النموذجية، ١٩٨٥ م.

٢٢. شحاتة صيام الضعف، الخطاب الديني في مصر، سينا للنشر، القاهرة، مصر، مجلد الثاني ١٩٩٤.

٢٣. الشريفة حبيلة، الخطاب الديني واشكالية المفهوم، بحث منشور في مجلة الاداب

واللغات جامعة العربي التبسي، تبسة ، الجزائر ، عدد:١٠ ، ٢٠١٥.

٢٤. عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دمشق: دار القلم، ١٤٢٢ ه/ ٢٠٠١ م.

٢٥. عبد الكريم غريب، المنهج التربوي، الجزء الثاني، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء ٢٠٠٦.

٢٦.عبد الله الرشدان ، علم اجتماع التربية، عمان، دار الشروق ١٩٩٩.

٢٧. لويس معلوف، المنجد في اللغة والاعلام، المطبعة الكاثولوكية، بيروت ٢٠١٠م.

٢٨. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت: مطبعة الرسالة، ط ١ ج ١.

٢٩. محمد شحات الخطيب ، وآخرون ، أصول التربية الإسلامية ، الرياض ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ١٩٩٥.

٣٠. محمد عبد الله مكازي، الخطاب الديني في الفضائيات العربية، دراسة في سوسيولوجيا التبشير على الشباب الاردني، رسالة دكتوراه، اشراف: حلمي ساري، كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية، ٢٠٠٩م.

٣١. محمد نجيب عبد موجود العقل نفعل تنويري في الفكر العربي الاسلامي مجلة الوحدة العربية المغرب مجلس القومي للثقافة العربية عدد ٨١، ١٩٩١م.

٣٢. محمود أبو زيد ، الشائعات والضبط الاجتماعي . الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠،.

٣٣. مراد شحماط، لبنى الجصاص، التنمية السياسية، مقاربة معرفية لتفسير الحراك الشعبي في الوطن العربي، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٨، ٢٠١٣.

٣٤. مصطفى محمد حسنين، الضبط الاجتماعي في الإسلام ، أضواء الشريعة ، العدد الخامس ، الرياض ، كلية الشريعة ،١٣٩٤هـ.

٣٥. المؤثرات الفكرية في التربية الأسرية وسبل مواجهتها تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجاً، سميرة عبد الله الرفاعي، بحث منشور في كتاب جماعي: رائد جميل عكاشة، منذر جميل زيتون الاسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، امريكيا، دار الفتح للدراسات والنشر، الاردن، ٢٠١٥م .

٣٦. نعيمة يحياوي ، فضيلة عاقلي ، التنمية المستدامة والمسؤولية الاجتماعية من المنظور الإسلامي ، ورقة بحث ضمن الملتقى العلمي الدولي حول سلوك المؤسسة الاقتصادية في ظل رهانات التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية يومي ٢٠ و ٢١ نوفمبر ٢٠١٢ ، جامعة ورقلة ، ٢٠١٢ .

37. Ajayi A.I. Boko Haram and Terrorism in Nigeria: Exploratory and Explanatory notes. Global Advanced Research Journal of History, Political Science and International Relations Vol. 1 2012. (5) .

38. Holdcroft, Barbara, “What is Religiosity?”,

Catholic Education: A Journal of.

39.Inquiry and Practice, 10 (1), September 2006.

40. Lenski, G، The Religious factor, (Doubleday, Garden City, NY, 1963).

41. McCullough M. and Willoughby B. 2009. Religion, Self-Regulation, and Self-Control: Associations, Explanations, and Implications Psychological Bulletin Vol. 135, No. 1.

42.Vaughham S. 2009. Understanding of Religion and the Role Played by Cultural Sociology in the Process. School of Doctoral Studies (European Union) Journal.

***